

## 247961 – هل يوجد في القرآن ما ينص على أن الله كامل لا نقص فيه ؟

### السؤال

هل يوجد في القرآن ما ينص على أن الله كامل لا نقص فيه؟ وإن لم يوجد هناك نص، فهل يؤمن المسلمون أن الله كامل لا نقص فيه؟

### ملخص الإجابة

والحاصل : أن كمال الله تعالى قد دل عليه القرآن من أوجه عديدة .

والله أعلم .

### الإجابة المفصلة

الحمد لله

أولا :

المسلمون مجمعون على الاعتقاد بأن الله تعالى متصف بأقصى ما يمكن من الكمال ، وأنه منزّه عن كل نقص مهما خف وقلّ ، وأقوال علماء المسلمين متواترة على اتصاف الله تعالى بالكمال المطلق ، ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

" الكمال ثابت لله ، بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية ، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى يستحقه بنفسه المقدسة ، وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه ؛ فثبوت الحياة يستلزم نفي الموت ، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل ، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز ، وأن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية ، مع دلالة السمع – أي نصوص الوحي – على ذلك " انتهى من " مجموع الفتاوى " ( 6 / 71 ) .

ويقول : " فالإجماع منعقد على أنه تعالى لا يوصف بغير صفة الكمال " انتهى من " بيان تلبيس الجهمية " ( 2/330 ) .

ويقول : " ومما يبين الأمر في ذلك : أن المسلمين متفقون على تنزيه الله تعالى عن العيوب والنقائص ، وأنه متصف بصفات الكمال ؛ لكن قد يتنازعون في بعض الأمور : هل النقص في إثباتها ، أو نفيها ، وفي طريق العلم بذلك . " انتهى من " منهاج

السنة النبوية" (2/563) .

ويقول أيضا : " ومعلوم أن الإجماع على تنزيه الله تعالى عن صفات النقص، متناول لتنزيهه عن كل نقص من صفاته الفعلية وغير الفعلية " انتهى من "درء تعارض العقل والنقل" (4/89) .

ثم إن هذا أيضا ما تقضي به العقول السليمة ؛ فكيف يعبد الإنسان ربا ، لا يعتقد فيه الكمال المطلق ، أو يظن أن يتطرق النقص إلى ذاته ، أو شيء من صفاته ؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" النقص منفي عنه عقلاً، كما هو منفي عنه سمعاً، والعقل يوجب اتصافه سبحانه بصفات الكمال، والنقص هو ما ضادَّ صفات الكمال" انتهى من "شرح الأصبهانية" (412) .

ثم هو أيضا مقتضى الفطر السليمة التي لم تفسد ، ولم تغير عن أصل خلقتها ؛ كما قال الله تعالى : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) الروم/30  
قال شيخ الإسلام رحمه الله :

" الإقرار بالخالق وكمالها يكون فطريا ضروريا في حق من سلمت فطرته ، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة . وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس ، عند تغير الفطرة ، وأحوال تعرض لها." انتهى . "مجموع الفتاوى" (6/73) .  
ثانيا :

فكما سبق من كلام شيخ الإسلام ، فإن نصوص الوحي ومنها آيات القرآن قد دلت على إثبات الكمال لله تعالى . لكن مما يجب الانتباه إليه بداية ؛ هو أن المعاني لأي كتاب لا تؤخذ فقط من ظواهر ألفاظه بل تراعى أيضا طرقا أخرى ؛ ومن الطرق التي اتفق عليها العقلاء في كل ملة أن المعاني تؤخذ أيضا بالاستقراء وبالإشارة ومن سياق النص وروحه ومن الدلالات المعتمدة لألفاظ النص .

فإذا راعينا هذا ؛ فإنه يمكن القول أن صفة الكمال وإن لم تأت بهذا اللفظ في القرآن إلا أن آيات القرآن قد دلت عليها من عدة أوجه ؛ ومن أهمها وأوضحها :

الوجه الأول : بالاستقراء لنصوص القرآن الكريم نجد أن الله تعالى قد وصف نفسه بصفات الكمال .

وقد سمي الله تعالى نفسه بكثير من صفات الكمال هذه ثم وصف أسماءه هذه بالحسنى في عدد من آيات القرآن ؛ ومن ذلك قوله تعالى :

( وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) الأعراف (180) .

فإذا كان الله تعالى متصفا بغاية الكمال في الحسن ، لزم من هذا انتفاء ما يضادها من الأوصاف الناقصة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

" وبالجملة فالسمع قد أثبت له من الأسماء الحسنى وصفات الكمال ما قد ورد ، فكل ما ضاد ذلك فالسمع ينفيه ، كما ينفي عنه المثل والكفؤ ، فإن إثبات الشيء نفي لخصه ، ولما يستلزم خصه ، والعقل يعرف نفي ذلك ، كما يعرف إثبات خصه ، فأثبات أحد الضدين نفي للآخر ولما يستلزمه .

فطرق العلم بنفي ما ينزهه الرب عنه متسعة " انتهى من " مجموع الفتاوى " ( 3 / 84 ) .

ولهذا عقب الله تعالى على هذا الوصف – بأن له الأسماء الحسنى – في آية أخرى بأن أثبت أنه المستحق للتسبيح .

فقال تعالى :

( هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِي الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) الحشر (24) .

والتسبيح : في اللغة : هو التنزيه .

قال ابن الأثير رحمه الله تعالى :

" وأصل التسبيح : التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص ، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعا " انتهى . " النهاية في

غريب الحديث " ( 2 / 331 ) .

فإذا كانت صفات الله كلها بالغة في الحسن غاية الكمال ، وهو سبحانه منزه مع ذلك عن كل ما يعيب . فهذا دليل من القرآن واضح على كمال الله سبحانه وتعالى .

الوجه الثاني :

جاءت آيات قرآنية كثيرة بتسبيح الله تعالى والأمر بذلك ، والتسبيح في اللغة كما سبق هو التنزيه ، وتنزيه الله تعالى يتضمن نفي كل نقص ، فإذا نفي كل نقص عن الله تعالى ، لم يبق من صفاته إلا ما يدل على الكمال .

ولاقتضاء التنزيه لكمال الله تعالى ، اقترن به في عدد من الآيات حمد الله لأنه يشعر بهذا الكمال بل يستلزمه .

كما في قوله تعالى :

( سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) الصافات (180 – 182) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية :

" ينزه تعالى نفسه الكريمة ويقدها ويرئها عما يقوله الظالمون المكذوبون المعتدون ...

( وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) أي : له الحمد في الأولى والآخرة في كل حال .

ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص ، بدلالة المطابقة ، ويستلزم إثبات الكمال ، كما أن الحمد يدل على

إثبات صفات الكمال مطابقة ، ويستلزم التنزيه من النقص ؛ قرن بينهما في هذا الموضع ، وفي مواضع كثيرة من القرآن "

انتهى من " تفسير ابن كثير " ( 7 / 46 ) .

الوجه الثالث :

إذا علمنا كما سبق أن الله نزه نفسه عن كل نقص ، وأن هذا يلزم منه أنه لا يتصف إلا بما يُحمد عليه ، فإن الله تعالى أخبر أنه

في هذه الصفات المحمودة عال على صفات خلقه ، لا يدركه فيها أحد ، وهذا غاية الكمال .

فقال الله تعالى في بيان علوه على خلقه بذاته وصفاته :

( فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ) غافر (14 - 15) .

وقال تعالى :

( وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) الروم (27) .

ونفى أن يشابهه أحد من خلقه فقال تعالى :

( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) الشورى (11) .

وهذا كله يشير إلى غاية الكمال في صفات الله تعالى .

الوجه الرابع :

أن الله سمي نفسه بأسماء ، كل واحد منها يدل على عموم كماله تعالى وبراءته من النقائص ؛ ومن ذلك :

1- القدوس .

قال الله تعالى :

( يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ) الجمعة (1) .

قال ابن الأثير رحمه الله تعالى :

" في أسماء الله تعالى " القدوس " : هو الطاهر المنزه عن العيوب . وفُعُول :

من أبنية المبالغة " انتهى " . النهاية " (4 / 23) .

2- السَّلام .

قال الله تعالى :

( هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ) الحشر (23) .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

" ولما كان " السلام " اسما من أسماء الرب تبارك وتعالى ، وهو اسم مصدر في الأصل - كالكلام والعطاء - بمعنى السلامة ،

كان الرب تعالى أحق به من كل ما سواه ؛ لأنه السالم من كل آفة وعيب ونقص وزم ، فإن له الكمال المطلق من جميع

الوجوه ، وكماله من لوازم ذاته ، فلا يكون إلا كذلك ، والسلام يتضمن سلامة أفعاله من العيب والظلم وخلاف الحكمة ،

وسلامة صفاته من مشابهة صفات المخلوقين ، وسلامة ذاته من كل نقص وعيب ، وسلامة أسمائه من كل ذم ؛ فاسم "

السلام " يتضمن إثبات جميع الكمالات له وسلب جميع النقائص عنه " انتهى من " أحكام أهل الذمة " (1 / 413 - 414) .

3- الصمد .

قال الله تعالى :

( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ) الإخلاص (1 - 2) .

روى الطبري في "تفسيره" (24/736) ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْلِهِ: الصَّمَدُ [الإخلاص: 2] يَقُولُ: السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي سُؤْدَدِهِ ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي شَرَفِهِ ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ عَظُمَ فِي عَظَمَتِهِ ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي حِلْمِهِ ، وَالْغَنِيُّ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي غِنَاهُ ، وَالْجَبَّارُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي جَبَرُوتِهِ ، وَالْعَالِمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي عِلْمِهِ ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي حِكْمَتِهِ ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدَدِ ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ صِفَتُهُ ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى :

" قال بعض العلماء : الصمد السيد ، الذي يلجأ إليه عند الشدائد والحوائج .

وقال بعضهم : هو السيد الذي تكامل سُؤْدُدُهُ ، وشرفه ، وعظمته ، وعلمه ، وحكمته .

وقال بعضهم : " الصمد " هو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ؛ وعليه فما بعده تفسير له .

وقال بعضهم : هو الباقي بعد فناء خلقه .

وقال بعضهم : " الصمد " هو الذي لا جوف له ، ولا يأكل الطعام ...

من المعروف في كلام العرب إطلاق الصمد على السيد العظيم ، وعلى الشيء المصمت الذي لا جوف له ...

فإذا علمت ذلك ، فالله تعالى هو السيد الذي هو وحده الملجأ عند الشدائد والحاجات ، وهو الذي تنزهه وتقدس وتعالى عن

صفات المخلوقين ، كأكل الطعام ونحوه ، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً " انتهى من " أضواء البيان " (2 / 220 - 221) .

4- الحميد :

قال الله تعالى :

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ) فاطر (15) .

قال الخطابي رحمه الله تعالى :

" الحميد : هو المحمود الذي استحق الحمد بفعاله ، وهو فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُولٍ ، وهو الذي يحمده في السراء والضراء ، وفي

الشدّة والرّخاء ، لأنّه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط ، ولا يعترضه الخطأ ؛ فهو محمود على كل حال " انتهى من " شأن الدعاء

" (ص 78) .